THE CONCEPT OF WASATHIYAH IBN TAIMIYYAH AND ITS IMPLEMENTATION IN AQIDAH

Syamsuddin Arif
Postgraduate Program, University of Darussalam Gontor
Email: syamsuddin.arif@unida.gontor.ac.id

Nurhadi Ikhsan
Postgraduate Program, University of Darussalam Gontor
Email: nurhadiihsan@gontor.ac.id

Syaiful Ulum
Postgraduate Program, University of Darussalam Gontor
Email: u.saipul@gmail.com

Abstract

In recent decades groups emerged in the name of the Islamic Group and claimed that their group was the most righteous and followed the Prophet in the case of aqidah, worship and Mu'amalah, while they were not aware that they fell into excessive (Ghuluw) both ghuluw in Aqidah , worship and Mua'malah, among the reasons is wrong in placing (Fiqh Tanzil) which distinguishes between the principal (Usul) and the branch (Furu'). While on the other hand there also emerged groups who claimed to be the most moderate (Wasath), Tolerant to the point of being too far and they fell into disparaging (tafrit) so that they sacrificed things that were in principle (aqeedah). Moderation (Washatiyyah) is also often misunderstood in its meaning and implementation, and it is not uncommon for certain groups to claim punishment for someone or other groups as radical or extreme. This study focuses on the first two issues relating to the Washatiyyah concept in Aqeedah and the analysis and criticism of extremism in aqeedah. the second is the determination of Standardization of wasathiyyah and wasathiyah methodology so that not only any group can claim that he and his group are the most moderate (wasath). And the most accurate implementation of wasathiyyah is on the subject of Shirk and in this case Ibn Taimiyyah is the most authoritative figure to be the Source of Reflections in the aqidah as well as the standard in wasathiyyah as he explains in his book "al-Aqidah al-Wasathiyyah"

Keywords: *Wasathiyyah*, moderation, *ghuluw*, *tafrit*, *aqidah*, Ibn Taimiyyah

مقدمة

فإنَّ العقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها السليمة ودعائمها الراسخة هي التي تحقِّق السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، لصحَّة دلائلها، وقوَّة حججها وبراهينها، ووضوح معالمها، ولموافقتها القلوبَ السليمة والفِطَرَ القويمة والعقول الصحيحة. المسألة الواسطية في العقيدة اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة وهم أهل السنة والجماعة.[1]

والذي يريد الباحث من الوسطية العقديه هي ما كان متعلقا بباب العقائد فهو محصور في الجانب الاعتقادي الذي يكون منتجا بالعمل الجوارج، أما الغلو في الاعتقاد: فهو مجاوزة الحد فيما شرع الله تعالى من الأمور الاعتقادية، فإن الله تعالى إنما أنزل الكتاب وبعث المصطفى ﷺ ليكون الدين كله لله، والغالي لا يكتفي بما أنزل تعالى من الشريعة الكاملة، بل يسعى إلى الزيادة على ما شرع الله، ومخالفة ما قصده الشارع من التيسير على المكلفين إلى التشديد على نفسه وعلى غيره، ونسبة ذلك إلى شرع الله تعالى.

والغلو في الاعتقاد أخطر أنواع الغلو وكذلك التقصير في العقيدة، ذلك بأن الاعتقاد درجة عالية من جزم القلب بما فيه من رأي أو فكر أو شرع، فأصعب ما يكون انتزاعها؛ لأن صاحبها يدافع عنها كما يدافع عن دمه وماله وعرضه، ومعلوم أن الغالي إنما يعتقد ما يتوهم أنه شرع الله وليس كذلك، بل إنما يعتقد فكرا أو رأيا مصدره الهوى.

أما الوسطية في العرف الشائع في زمننا، تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد، ولا استكبار ولا خنوع، ولا ذل ولا استسلام، ولا خضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج، ولا تهاون، ولا تقصير، ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى، ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة[2]. وهذا المراد من الغلو الاعتقادي والتطرف الديني.

وفي هدا يقول شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى : ..."فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه، وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام[3]". من كلام شيخ الإسلام نعرف أن الوسطية أمر مهم ليس في الأمور الفقهية الإجتهادية والدعاوية فحسب بل حتى في المسائل الإعتقادية, حتى لا تسقط في التطرف والغلو في الدين. فأكد ابن القيم - رحمه الله تعالى وهو احد تلاميذه فيقول : "وأهل السُّنَّة وسط في النحل، كما أنَّ أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من

شجرةٍ مباركة زيتونة لا شرقيَّة ولا غربيَّة، يكاد زيتها يضيءُ ولو لم تمسَسْه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره مَن يشاء[4]"

1. ترجمة احمد ابن تيمية

وقبل الحديث عن ابن تيمية أذكر وأنبه إلى أنني سأوجز الكلام في هذا الكثرة ما كتب في هذا الموضوع. أنه شحصية إسلامية عظيمة، ولا أظنني سأحتاج إلى كثير من الأدلة للبرهنة على عظمته فمؤلفته الجليلة تولت الاستدلال على ذلك، وهو شخصية فذة تدعو إلى العجب والإعجاب إلى العجب من كثرة ما خاض في العلوم وألف. وإلى الإعجاب لكثرة صموده وتمسكه برايه مستهينا بالعصاب، ولقد تولى الدفاع عن مذهب السلف حتى أظهر الحق وأبانه ولذلك ذاع اسمه وكثر ذكره، وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره، مثل القاضي الخوبي، وابن دقيق العيد، والقاضي الحنفي قاضي قضاء مصر ابن الحريري وغيرهم.

هو الشيخ الإمام الربابي إمام الأئمة ومفتي الأمة وبحر العلوم سيد الحفاظ وفارس المعاني والألفاظ فريد العصر وقريع الدهر شيخ الإسلام بركة الأنام وعلامة الزمان وترجمان القرآن علم الزهاد وأوحد العباد قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقي الدين أبو العباس احمد بن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن[5] عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني.[6]

ولد في حران (تركيا) الآن ، وهي مدينة عظيمة مشهورة، وقيل : سميت ران أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها فعربت فقيل حران، وقيل إنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان وفتحت في أيام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه على يدي عياض بن غنم ، وينسب إلها جماعة كثيرة من أهل العلم، وكما سمي بهذا الاسم كثير من البلدان غيرها مثل حران من قرى حلب، وحران الكبرى وحران الصغرى: قريتان بالبحرين، وحران قرية بدمشق،[7] ومما سبق يتبين أن حران مدينة عظيمة مشهور بالعلم والعلماء.

فكان شيخ الإسلام يسعى في طلب العلم منذ صغره، فحفظ القرآن في صباه، وسمع الحديث وهو في سن السابعة من الشيخ ابن عبد الدائم[8] سنة 667هـ[9]. ولازم الشيوخ وسمع منهم حتى زاد عددهم عن

مائتي شيخ، وسمع المسند مرات والكتب الستة ومعجم الطبراني الكبير، وعني بالحديث حتى برز فيه، وتعلم الخط والحساب في المكتب في صغره، وأقبل على الفقه، وأتقن العربية. قرأ كتاب سيبويه في بضعة أيام، وفهمه واستدرك عليه، وعني بالتفسير عناية فائقة، وهذا كله وهو ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه.[10]

2. منهجه في العقيدة

فكان منهجه على وجه العموم فيما يلي : الاعتماد على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة ثم على آراء الصحابة وآثار السلف. وفهم النصوص على مراد الله وعلى مراد الرسول مستيعناً بفهم السلف الصالح، فقد كان يرى أن الشريعة أصلها القرآن وقد فسره النبي، والذين تلقوا ذلك التفسير من النبي هم الصحابة ثم ألقوها إلى التابعين. وقد اتصف منهجه بالاهتمام بأقوال ومفهومات السلف وعلى الأخص القرون الثلاثة الأولى.[11]

عدم التعصب لمذهب معين، والدعوة إلى فقه في الدين ونبذ الجمود، حيث كان لا يتبع غيره في رأي له بغير دليل من القرآن والسنة النبوية وما صح عن الصحابة من الآثار وآثار السلف. وسعى ابن تيمية إلى ترك التعصب المذهبي، بسبب أن عصره كان يموج بالتعصب لدى بعض متبعي المذاهب، وما أدى إليه هذا من ركود فكري في تلك الفترة.[12]

موافقة المعقول للمنقول وشمولية النصوص للأحكام، فلم يكن يهمل العقل والفكر في دراساته، ولم يكن يجاوز به مجاله، ولا يجعله حاكماً على نص قرآني أو حديث صحيح.[13] وكذالك تحقيق مقاصد الشارع بجلب المصالح ودرء المفاسد، وقد أولى ابن تيمية هذا الجانب اهتماماً كبيراً حيث يتتبع ويبرز مقاصد الشارع من النصوص الشرعية، ويبين الأسباب التي رتبت عليها الأحكام، واهتم أيضاً بدرء المفاسد المتمثل بأصل سد الذرائع.[14]

3. التعريف بالوسطية

ومفهومُ الوسطية أحد المصطلحات التي خضعت لعملية تمزيق لغوي لمفهومها الكلي، جعلت معانيها تتفرق بين مستخدميها دون أن يُحَصِّلَ واحدٌ منهم المعنى بكامله، لا سيما في هذا الزمن الذي

ضَعُفَتْ فيه دراية المسلمين بدينهم، وغَلَبَ على المستعملين للمفاهيم الكلية الطابع الارتجالي والتحليل العقلاني بغير علم ولا هدى، وغدا هذا المفهوم زِئْبَقِيًّا ملتبسًا يُحاول مستخدموه توظيفه في صراعات سياسية وإيديولوجية، مستغلين سطوة التصنيف والأجواء الموبوءة بالمفاهيم المغلوطة؛ لتمرير حُمُولَةٍ ثقافية يُخَبَّأُ فيها كثير من الأسس المناقضة للشرع، وبالرغم من تناول هذا المفهوم في أكثر من ميدان شرعي كالأصول والتفسير واللغة؛ إلا أن الاستخدام لهذا المصطلح من بعض الأطراف لا يُرْجِعُهُ إلى أَيِّ شيء من هذه الميادين، بل يحاول تجاوزها وَسْطَ عملية توليد للمعاني لا تستند في مُقَوِّمَاتِهَا إلَّا إلى ما يفرضه الواقع ويتماشى مع العولمة كمكون ثقافي أساسي للمفاهيم.

الوسطية في اللغة: لها عدة معان تتعدد في الدلالة، وتتحد في الغاية، قال ابن فارس: "الواو، والسين، والطاء بناءٌ صحيح، يدلُّ على العدل والنَّصَف، وأعدل الشيء، أوسطه ووسطه.[15]

ويرى الراغب الأصفهاني أن:" الوَسَطُ: ما له طرفان مُتساوِيَا القدر، ويقال ذلك في الكمية المُتَّصلة؛ كالجسم الواحد، إذا قلت: وَسَطُه صُلبه، وضَرَبَ وسَطَ رأسه، بفتح السين، ووَسْط بالسكون، يقال في الكمية المُنفصلة، كشيء يَفصل بين جسمين، نحو: وَسْطُ القوم كذا، والوَسَط تارة يقال فيما له طَرَفان مذمومان؛ يقال: "هذا أوسطهم حَسَبًا"، إذا كان في واسطة قوْمِه، وأرفَعَهم محلاً؛ كالجود الذي هو بين الإسراف والبخل، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتَّفْريط، فيمدح به نحو: السواء، والعدل، والنَّصَفَة.[16]

ومن الواضح أن اللغويين يلمحون إلى العلاقة التجاذبية بين الوسط والأطراف، وأن الوسط آخذ من كل الطرفين بنصيب دون أن يبلغ في أحدهما منتهاه الذي يوجب انحيازه إليه. ولم يبتعد علماء التفسير والأصول بالمعنى الدلالي للكلمة عن هذا المعنى اللغوي الأصلي لها.

عرف الشيخ يوسف القرضاوي عن معهوم الوسطية في عدة كتبه منها "كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها" و " الحصائص العامة". ويقول : والسطية تعني التوسط والتعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ، ويطغى على مقابله ويحيف عليه.[17] من هذا التعريف علق احد الغربين عن تعريف الوسطية عند القرضاوي ويقول : الواسطية هي التوازن بين العقل والوحي ، بين المادة والروح ، بين الحقوق والواجبات ، بين الفردية والجماعية ، بين الإلهام والالتزام ، بين النص [أي. القرآن والسنة] والتفسير الشخصي [الاجتهاد] ، بين المثل والواقع ، بين الدائم

والعابر ، بين الاعتماد على الماضي والتطلع إلى المستقبل.[18]

لقد كان لمفهوم الوسطية عند شيخ الإسلام ابن تيمية مجال واسع، ظهر ذلك من خلال ما رقمه بقلمه من تأصيلات وفتاوى في إطار تصحيح المفاهيم، يقول - رحمه الله - مقرراً قاعدة الوسطية: "دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه"[19]، وقال تحت قاعدة: (الانحراف عن الوسط كثير في أكثر الأمور): "الانحراف عن الوسط كثير في أكثر الأمور، في أغلب الناس، مثل تقابلهم في بعض الأفعال، يتخذها بعضهم ديناً واجباً، أو مستحباً، أو مأموراً به في الجملة. وبعضهم يعتقدها حراماً مكروهاً، أو محرماً، أو منهياً عنه في الجملة"[20]. وبهذا التأصيل المنضبط والتطبيق المقيد بالمنهج الوسط المستقيم .

إذا من هذا التعريف نرى أن الوسطية هي سمة من سمات الإسلام، إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك إن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تقصيروتفريط، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة، فهو شر ومذموم فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر أي المتوسط بينهما.[21]

وكذالك ورد التعريف المنحرف لدى اللبراليون عن الوسطية، كما عرفه خالد ابو الفضل ويقول : إن مصطلح معتدل (*Moderat*) يجد جذوره في التقاليد الإسلامية ، وهذا التقليد ينقل ويرث الطابع المعياري المتوقع والمملوك من قبل غالبية المسلمين[22]. أولئك الذين أسميتهم كمعتدلين (*Moderat*) يمكن وصفهم بشكل مختلف على أنهم جماعات عصرية ، تقدمية وإصلاحية. بالنسبة الباحث، لا يمكن لأي من هذه العبارات استبدال المصطلح (*Moderation / moderat*). إذا هذاالتعريف لا يكون شاملا للوسطية، عندأبو الفضل الوسطية مختلف مع الاعتدل، الوسطية عنده تقليد إسلامية وأما معتدل (*moderat*) جماعات عصري، هذا فطبعا غلاط ولا سيما أنه قال أن المسلمين الذي لا يتمسكون بالاعتدال ليسو متوسطين.

من التصريحات المختلفة للسياسيين والمفكرين الغربيين فيما يتعلق بتصنيف الإسلام إلى "الإسلام المعتدل" و "الإسلام المتطرف" ، سيجد أن ما يعنونه بـ "الإسلام المعتدل" هو الإسلام غير المعاد للغرب (كما يلي: معاداة الرأسمالية) ؛ الإسلام الذي لا يتعارض مع العلمانية الغربية ، ولا يرفض المصالح الغربية المختلفة. إن جوهر "الإسلام المعتدل" هو الإسلام العلماني ، الذي يرغب في قبول القيم

الغربية ، ويريد أن يتنازل مع الإمبريالية الغربية ولا يعارضها ، فالمجموعة تدعى "الإسلام المعتدل" الذي يعتبرونه "إسلامًا وديًا" ويمكن أن يكون شريكًا غربيًا.

وعلى العكس ، وفقاً لما يقوله الغرب ، فإن ما يُطلق عليه "الإسلام المتطرف" أو "المتطرف" هو الإسلام الذي يرفض أيديولوجية الرأسمالية العلمانية ، والمناهضة للديمقراطية ، ولا يريد التنازل مع الغرب. وبعبارة أخرى ، فإن "الإسلام الراديكالي" هو المسلم المؤمن بآراء الحياة والقيم الإسلامية ، ويلتزم بالإيديولوجيا والشريعة الإسلامية. أو أن الراديكاليين هم أناس يريدون تطبيق شريعة الإسلامية. بالنسبة للغرب ، لا تعتبر هذه الجماعة الإسلامية فقط إسلامًا "شاقًا" ومعادًا للغرب ، ولكنها أيضًا تعتبر تهديدًا لحضارتهم.[23]

4. معايير وملاميح الوسطية

يعد لفظ (الوسطية) من الألفاظ الشائعة التي تحمل مدلولات كبيرة، هذه الكلمة نسمعها في نصوص القرآن، وفي كلام الفلاسفة، وفي عبارات المثقفين، وفي كلام السياسيين، بل سميت بذلك مؤسسات وتيارات وتوجهات. وكل أولئك: مجمعون على مدح الوسطية وعدّها علمًا على ما يرونه حسنًا من التصرفات والتوجهات، والآراء والأفكار.

ولكن كلمة (الوسطية) أصبحت من الألفاظ التي يحملها كل قوم على ما يريدون مما يرغبون ويحبون من المبادئ والآراء والأفكار .ويسلبون هذا الوصف عمن يبغضون أو يخالفون منها. واما نسبة الإسلام او المسلم بالوسطية، كما يسمونهم بالاسلام المعتدل (islam Moderat) " مقابل المسلم المعتدل "(Muslim Moderat) إنها مصطلح تشويه، لأنه لا يُعرف مصطلح "الإسلام المعتدل" أو "الإسلام العربي" أو الإسلام الليبرالي أو الإسلام التقدمي أو "الإسلام نوسانتارا" في تاريخ المنحة الإسلامية ، لأن الإسلام دين سماوي من الله لنبيه محمد ﷺ . واهدافه انجاح مهمة سلام عالمية. ودين الإسلام غير المناسب أن يُفقد مصداقيته **بمصطلحات جزئية تقلل** من جلالة معنى الإسلام الذي هو السلام.[24] الإسلام دين عالمي ، كل تعاليمه يجب أن تُطْعَم وتُنفذ ، وعلى كل مسلم أن يكون قادراً على إثبات عظمة القانون وتعاليم الإسلام ، حتى يتمكنوا من التمييز بين الحق والفساد.

إن تحديد المعاني مطلب أساسٌ لوضوح المراد، وتضييق دائرة الاختلاف، وليس منشأ الخطأ في الفهم إلا الغلط في تحديد الألفاظ أو غموضها وتعقيدها، والتباسها .لذلك كان (فولتير) يبدأ المناقشة دائما بقوله: (حدِّد ألفاظك، فالعلم بمعاني الألفاظ علما صحيحا لا يستغنى عنه للتفكير الصحيح ولا للحكم الصحيح).[25]

من هذه المنطلق نجعل الباحث أن معيار الوسطية هي الرجوع في بيان معاني الألفاظ، لأن مصدر العلم بمعنى قول الشارع هو إلى أمرين الأول: اللغة التي تكلم بها. والثاني: مقصود الشارع من الألفاظ. معناه معرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون انه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك)[26]. وفهم مراد الشارع بالألفاظ إنما يكون بمعرفة عادته في الخطاب، بجمع النصوص والنظر فيها. يقول ابن تيمية - رحمه الله -:(ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله، فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث)[27]. وهذه قاعدة مطردة حتى في معرفة كلام البشر؛ إذ لا يعرف المعنى من اللفظ ابتداءً، ولكن يعرف منه، ومن قرائن أخرى.

إن تحديد معيار الوسيطة فعليًا أمر معقد ، وليس سهلاً مثل تحريك راحة اليد ، وليس من الممكن أن تكون معايير كل فرد ذات صلة بهذا المصطلح مختلفة. ولكن على الأقل هناك ملامح يمكن استخدامها كمعيار يتعلق بالوسطية ، بحيث لا تعتبر كل مجموعة أو فرد أنهم المعتدلين ، طالما أنه يتعارض مع مبادئ الوسيطية.

ومما يؤكد أهمية الرجوع إلى قصد الشارع عند الاختلاف في المعنى الشرعي ما يلي: الأول :إن من المتفق عليه عند الاختلاف سواء في الأحكام أم المعاني رد الأمر إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:59]. خصوصًا إذا كان اللفظ المختلف فيه منسوبًا إلى الدين، مثل قضية هذا البحث (الوسطية) إذ نسبته إليه تؤكد أهمية مراجعة نصوصه؛ لفهم الحقيقة وتصورها تصورًا سليمًا، ومن ثم يكون الحكم في ضوء ذلك.

ثانيا : إن الألفاظ والمصطلحات التي وقع فيها الخلاف - مثل: الوسطية - لا بد فيها من الرجوع إلى معيار ثابت؛ إذ لو وكلت القضية إلى البشر لأصبحت نسبية بحسب اختلاف أهوائهم، ومشاربهم،

وانتماءاتهم، واتباع الهوى يفضي لاختلاف غير متناه، وفساد غير منقضٍ ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون:71]. فثبات المعيار الذي ينظر بواسطته، وتفهم الحقائق في ضوئه أمر لا محيد عنه، وتركه يفضي إلى فساد عريض.

5. تطبيق منهج الوسطية في العقيدة

لقد جاء تقرير القرآن لمنهج الوسطيَّة في العقيدة شاملا ومتكاملا، وذلك أنّ العقيدة هي الأساس، وعليها البناء، فأيّ انحراف فيها يسري على ما سواها ويؤثر فيه. والعقيدة من أوسع الأبواب وأكملها، حيث تشتمل على الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره، وشرّه. وكل قسم من هذه الأقسام يشتمل على عدّة موضوعات وأجزاء.

وسأسلك في بيان تقرير القرآن للوسطيَّة - في بعض أبواب الإيمان - المنهج الإجمالي [28]. دون الدخول في التفاصيل والجزئيات، لأن ذلك يُؤدي بنا إلى التّفريع والدخول في الجزئيات، مما لا يستلزمه مثل هذا البحث، ولا تدعو الحاجة إليه هنا. وما سيرد في ثنايا ذلك من جزئيات فليست إلا أمثلة مُختارة للوصول إلى تحقيق المعنى المراد وتقريره. إن أعظم أصول الإيمان وأعلاها مرتبة هو الإيمان بالله، وتوحيده، توحيده في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته.

ولقد ضلّت طوائف كثيرة في هذا الباب، فهم بين إفراط وتفريط، وغلو وجفاء. فنجد من الناس - كاليهود - من وصف الله - جل وعلا - بصفات النّقص التي يختصّ بها بعض المخلوقين، وشبهوا الخالق بالمخلوق، فقالوا: إنّه بخيل! وإنّه فقير! وإنّه لما خلق السماوات والأرض تعب فاستراح يوم السبت! إلى غير ذلك من صفات النقص التي لا تليق به - سبحانه - . وجاء آخرون - كالنصارى - فوصفوا المخلوق بصفات الخالق التي يخْتّص بها، فشبّهوا المخلوق بالخالق، حيث قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم. وقالوا: المسيح ابن الله. وقالوا: إن المسيح يخلق، ويرزق، ويغفر، ويرحم، ونحو ذلك[29].

بل هناك من أنكر وجود الله - جلّ وعلا -، وآخرون ادعوا الألوهية كفرعون. (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) (النازعات: الآية24). وقال: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) (القصص: الآية 38).

وجاء القرآن بالمنهج الوسط، وأنكر على كل فريق من هؤلاء وغيرهم ما ارتكبوه في جنب الله - تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا -. ونزيد الأمور وضوحًا، فنقول: جاء اليهود فوصفوا الله - جل وعلا - بالبخل والفقر! وهذه الصفات لا تليق بالبشر، فكيف بحق الله تعالى؟! وهذا القول والاعتقاد انحراف في العقيدة وضلال مبين. فردّ الله عليهم بقوله: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (آل عمران:181).

وخلاصة القول: إن القرآن جاء ليُبيّن انحراف أولئك المنحرفين، ويرد عليهم ضلالهم، وانحرافهم، ويُقرّر المنهج الحقّ، ويُبيّن ما يجب أن يعتقده المسلم في الله، من الإيمان به - جل وعلا -. (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ) (البقرة: من الآية285). (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ) (البقرة: من الآية136). (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ) (الملك: من الآية29). (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) (النساء: من الآية136). (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) (الحديد: من الآية19). وكذلك يجب أن يثبت لله ما يثبته لنفسه أو أثبته له رسوله، وينفي عنه ما نفاه عنه نفسه أو نفاه عنه رسوله.

6. تطبيق فكرة وسطية ابن تيمية في العقيدة

ومما سبق يتضح لنا صفاء عقيدة التوحيد وسلامتها من تأويل المؤولين وجحد الجاحدين، وتشبيه المشبّهين، وأن الجميع قد انحرفوا عن الصّراط المستقيم، نفيًا أو إثباتًا، إفراطًا أو تفريطًا، ولذلك جاءت الآيات تلو الآيات، إثباتًا ونفيًا، وإنكارًا وردًّا وتنـزيهًا، لتقرّر المنهج الحق بين الغلوّ والجفاء، والنفي والإثبات، مما يليق به - سبحانه - وتقدّست أسماؤه، وعلا وعزّ شأنه وسلطانه. ونجد من أصول الاعتقاد الإيمان برسل الله، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وذلك يقتضي إنـزالهم منازلهم التي أنـزلهم الله إيّاها.

وعند دراسة أحوال الأمم في هذه القضية نجد الاضطراب والتناقض والغلوّ والجفاء. وكما ذكرنا اليهود والنصارى مثلين للانحراف في باب الإيمان بالله، فسأذكرهما هنا نموذجين للانحراف في باب الإيمان بالرسل، وذلك لأن القرآن، ذكرهما في مواضع عدة، ولأنهما أشهر أُمتين قبل أمَّة محمد. ولنأخذ موقف اليهود من أنبياء الله ورسله [30] .

- أولا: أنّهم فرّقوا بين الله ورسله، وآمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، بمجرّد التّشهّي والعادة، لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل إلى ذلك، بل بمجرّد الهوى والعصبية [31] قال - تعالى -:)إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) (النساء:150) وهذا الأمر وإن كان يشترك فيه اليهود والنصارى، ولكنه في اليهود أكثر.

- ثانيا : أنهم خذلوا أنبياءهم، ونقضوا العهود التي أخذوها عليهم، قال - سبحانه -: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (المائدة: من الآية12).

وآيات أخذ العهد والميثاق على بني إسرائيل كثيرة جدًا[32] ولكن ماذا كانت النتيجة: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ) (المائدة: من الآية13). ونقض العهد والغدر يُنبئ عن مكانة الأنبياء في نفوسهم وعقيدتهم فيهم.

- ثالثا : أنهم تنقّصُوا بعض الأنبياء والرسل، عليهم الصلاة والسلام، ورموهم بارتكاب كبائر الذنوب، ورموهم بالنقائص والعيوب، والتوراة - المحرفة - مليئة بهذا اللون، وفيها من الخزي والعار ما يندى له الجبين. فنسبوا لهارون، عليه السلام، أنّه صنع لهم العجل الذي عبدوه من دون الله، ورموا نبي الله سليمان، عليه السلام، بأنه في أواخر أيّامه مال إلى ممالأة نسائه على عبادة الأوثان، وبني لهن المعابد والأوثان، وأنّه لم يكن مخلصًا في إيمانه بربه.

واتهموا نوحًا، عليه السلام، بأنّه كان يشرب الخمر، واتهموا داود ولوطًا، عليهما السلام، بالزنا، إلى غير ذلك من النقائص والتهم التي يقشعرّ لها قلب كل مؤمن[33].

ولا يُستغرب ذلك على أولئك الذين رموا رسولهم ونبيهم موسى، عليه السلام، بالنقائص والعيوب. فقال - سبحانه - مخبرًا عنهم، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً) (الأحزاب:69).

- رابعا : قتلهم الأنبياء والرّسل، وقد ذكر الله ذلك في القرآن في أكثر من موضع: (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ) (البقرة: من الآية87). وقال: (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ) (المائدة:70). وقال: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) (البقرة: من الآية61).

ومن أشهر من قتل اليهود من الأنبياء زكريا وابنه يحيى، عليهما السلام[34]. هذه عقيدة اليهود في أنبياء الله ورسله، والذي ينظر إلى مواقفهم مع موسى، عليه السلام، وهو نبيهم ومنقذهم من فرعون، يجد العجب[35]. (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) (الصف: من الآية5). فكل من وقف من الأنبياء والرسل موقف تفريط وجفاء في اليهود أسوة وقدوة.

أمّا النصارى فإن عقيدتهم في الأنبياء والرسل تتلخص في موقفين[36]: الأول: التفريط والجفاء مع أنبياء الله ورسله - عدا عيسى، عليه السلام، فلم يؤمنوا ببعضهم، وكفروا بمحمد،- قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) (النساء:150). قال ابن جرير - رحمه الله – (وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ) (النساء: من الآية150) يعني أنهم يقولون: نصدق بهذا ونكذب بهذا، كما فعلت اليهود في تكذيبهم عيسى ومحمد، وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء قبلهم بزعمهم،[37] وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمدًا، وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم[38]. وقال - تعالى - مبينًا كفرهم بمحمد (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) (الصف:6).

الثاني: الغلو والإفراط، ويتمثل ذلك في غلوهم في عيسى، عليه السلام، حيث رفعوه فوق المكانة التي جعله الله فيها، وأنزلوه فوق المنزلة التي أنزله الله إياها. فلم يؤمنوا به عبدًا لله، ورسولا نبيًا، وإنما جعلوه هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة !! بل عبدوه من دون الله وأضافوا إليه من الأفعال والأعمال ما لا يصح إضافته ونسبته إلا إلى الله [39].

قال - تعالى -: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) (المائدة: من الآية72). (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ) (المائدة: من الآية73). (وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) (التوبة: من الآية30).

وقال رسول الله لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله[40]. وهذان الموقفان - أي موقف اليهود وموقف النصارى - يمثلان مواقف الناس في الأنبياء والرسل في جانب الإفراط والتفريط والغلو والجفاء [41]. أمّا الموقف الحق وهو الذي قررّه القرآن وبينه، فإنه بين هذين الموقفين، فهو وسط بين الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط.

أمّا الذين نقضوا العهود والمواثيق التي أخذها الله عليهم بالإيمان بالرسل ونصرتهم، فقد قال - سبحانه - مبينًا عاقبة جريرتهم: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ) (المائدة: من الآية13). وقال في موضع آخر مبينًا عاقبة نقض العهد والميثاق: (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (الرعد:25).

والذين كفروا بالأنبياء، وفرّقوا بينهم قد نقضوا عهد الله وخانوا مواثيقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل. قال القرطبي: (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) (الرعد: من الآية25) أي: من الأرحام، والإيمان بجميع الأنبياء[42].

أمّا الذين آذوا الأنبياء، وتنقّصوهم، واتهموهم بأبشع التهم، فقد جاء الردّ عليهم إمّا مباشرًا أو غير مباشر، فالذين اتهموا هارون بأنه أمرهم بالشرك وصنع لهم العجل، قال الله مبرءا هارون: (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي) (طـه:90).

وقال عن سليمان (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (صّ: من الآية30). أما نوح ولوط وداود، عليهم السلام، فقد قال الله عنهم وعن غيرهم من الأنبياء والرسل الذين ذكرهم - سبحانه - في سورة الأنعام: (أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) (الأنعام:89). وقال بعد ذلك مزكّيًا لهم وآمرًا رسوله، ρ أن يقتدى بهم: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (الأنعام: من الآية90). وقال عن نوح: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً) (الإسراء:3). وقال عن داود: (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (صّ: من الآية17).

أما الذين قتلوا الأنبياء والرسل فماذا كانت عاقبتهم جزاء انحرافهم عن الطريق السوي؟ تجيب هذه الآيات على هذا السؤال: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (البقرة: من الآية61). وقال - سبحانه -: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (آل عمران:21).

وكذلك نجد ردّ الله على النصارى وغلّوهم في عيسى عليه السلام، حيث حكم عليهم بالكفر واللعن، قال - سبحانه -: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) (المائدة: من الآيتين72،17). وقال: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المائدة:73). وقال - سبحانه -: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (التوبة:30).

إن الحكم على الانحراف وبيانه وسيلة مباشرة للوصول إلى الطريق الصحيح، والمنهج المستقيم، فبعد بيان خطأ هؤلاء الذين انحرفت عقيدتهم وضلوا في رسل الله نأتي إلى بيان المنهج الحق في أنبياء الله ورسله، كما قرره القرآن الكريم، ودعا إليه في أكثر من موضع.

وفي إطار تقرير منهج الوسطيَّة في العقيدة يأتي قوله - تعالى – (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) (البقرة: من الآية130). وملّة إبراهيم، عليه السلام، هي الملة الحنيفيَّة السمحة لا إفراط فيها ولا تفريط. قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: فمن ترك طريقه هذا ومسلكه وملته واتبع طرق الضلالة والغي فأيّ سفه أعظم من هذا؟! قال أبو العالية وقتادة: نـزلت هذه الآية في اليهود، أحدثوا طريقًا ليست من عند الله، وخالفوا ملة إبراهيم فيما أحدثوه، ويشهد لصحة هذا القول قوله - تعالى -:)مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (آل عمران:67)[43].

وفي سورة يونس (وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً) (يونس: من الآية105). قال ابن كثير: أي أخلص العبادة لله وحده، (حَنِيفاً) (يونس: من الآية105) أي منحرفًا عن الشرك، ولهذا قال: (وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يونس: من الآية105)[44]. وفي يوسف: (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (يوسف: من الآية40). قال ابن كثير في تفسيرها: أي هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر الله به[45].

وخلاصة القول: إنّ الآيات جاءت متوالية متتالية، تقرّر حقيقة الوسطيَّة في باب الاعتقاد، اطّرادًا مع منهج القرآن في تقريره ذلك في جميع الأبواب . ولولا خوف الإطالة لذكرت أمثلة تُؤكّد هذه الحقيقة وتبينها، ولكن لا أظن أنّها بعد ذلك تحتاج إلى بيان أو تأكيد. وأشير إلى أنني اقتصرت على بابي الإيمان بالله ورسله، دون سواهما من أبواب الإيمان، لأنه إذا تحقّق الإيمان بالله ورسله على الوجه الصحيح فإن ذلك يستلزم تحقق بقية الأركان لا محالة، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

ابن تيمية (ت 1328) أحد أكثر علماء الدين إثارة للجدل والمثيرة للجدل في الفترة الوسطى من التقاليد الإسلامية ، وقد تمت قراءة كتاباته وحشدها إلى غايات متنوعة في العصر الحديث.المفكر التونسي. - يرى مرزاقي (أن ابن تيمية كان فيلسوفًا عظيمًا يبشر بفكرة ترشيح فلسفية حديثة "، وقد اتخذ المفكر الباكستاني وأستاذ جامعة فضل الرحمن في جامعة شيكاغو (المتوفى عام 1988) نموذجًا لحديثه الإصلاحي". مركزية (الوسطية) للباحث القطري يوسف القرضوي. تعود إلى دعوة ابن تيمية للمعنى الوسطية (moderation) في مسائل العقيدة ، واستدعى القرضاوي ابن تيمية في الدعم أو المشاركة السياسية الإيجابية في مجتمع تعددي ، والفقه العملي المتمثل في الموازنة بين الفوائد والأضرار ، 'ودفاعي صارم مقاربة للجهاد ضد الكافرين. علاوة على ذلك ، الوهابية السعودية ، الديانات ، حركات الإصلاح في العراق في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مثل السوريا ، اليمن ، الهند ومصر ؛ ونظرًا لعظمة السلفية العالمية المعاصرة التي نشأت في المملكة العربية السعودية في ستينات القرن العشرين ، فقد نظرت جميعًا إلى ابن تيمية بحثًا عن الإلهام وناشد سلطته بالشرعية. وفيما عدا ذلك ، فإن ابن تيمية هو المرجع الإسلامي الرئيسي في العصور الوسطى الذي استشهد به المتطرفون المسلمون المعاصرون. هذه الفرضية كانت مبررة لاغتيال الجهاد الإسلامي للرئيس المصري أنور السادات في عام 1981. يستشهد فرج بفتاوى ابن تيمية ضد المغول ورفوعه حول الوضع القانوني لماردين ، وهي مدينة اليوم في جنوب تركيا ، في سياق مناقشة ذلك الحكام الذين فشلوا في دعم الشريعة الإسلامية هم مرتدين ويجب محاربتهم.

الوسطية من أهم الخصائص التي اختصت بها الأمة المحمدية، وهي الميزة التي تميز بها هذا الدين عقيدة وشريعة وسلوكا. وإن الوسطية ليست من المصطلحات الحديثة بل هو مصطلح أصيل وارد

في القرآن الكريم والسنة النبوية الغراء وكثر استخدامه في خطابنا الديني المعاصر وذلك لميل الكثرين عن المنهج المعتدل وركونه إما إلى الإفراط أو إلى التفريط. والوسطية هو التزام خط الوسط بين جميع المتناقضات والمتضادات والمتقابلات؛ وهو التوسط في الأمور والابتعاد عن طرفي الإفراط والتفريط. وهو أفضل طريقة يتبعها الإنسان ليؤدي ما عليه واجبات تجاه ربه سبحانه وتجاه نفسه والآخرين.

العقائد الإسلامية وسط بين الأفكار والعقائد التي ظهرت في هذه المعمورة عبر الأمكنة والأزمان. فهي عقيدة تدعو إلى الاقتصاد والاعتدال في جلها.

Endnotes:

[1] ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم **العقيدة الواسطية**: الطبعة: الثانية 1420هـ / 1999م الناشر: أضواء السلف – الرياض, ص: 3

[2] الزحيلي، **وهبة، إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور**، مجلة الوعي الاسلامي، العدد رقم: 481، وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الكويت، 2005-10-09,

[3] ابن تيمية: **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد, الطبعة: الثانية، 1419هـ / 1999م, دار العاصمة، السعودية ج:1 ص: 69

[4] ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) :**بدائع الفوائد**, دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ج:1, ص: 180

[5] هو أبو أحمد عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني نزيل دمشق، الحنبلي، ابن المجد أبو شيخ الإسلام تقي الدين، ولد سنه (627) بحران، وسمع من والده وغيره ورحل في صغرهإلى حلب فسمع بها من ابن اللتي وابن رواحة ويوسف بن خليل، ويعيش النحوي وغيرهم، وتفقه بوالده وتفنن في الفضائل. قال الذهبي " قرأ المذهب حتى أتقنه على والده ودرس وأفتى وصنف، وصار شيخ البلدبعد أبيه وخاطبيه وحاكمه، وكان إماما محقق لكثير من الفنون له يد طولى في الفرائض والحساب والهيئة، دينا متواضعا حسن الأخلاق جواد من حسنات العصر، تفقه عليه والد أبو العباس وأبو محمد. ينظر : عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق : محمود الأرناؤوط، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، دار ابن كثير، دمشق – بيروت. ج: 5 ص: 376. وينظر : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **البداية والنهاية**، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. ج: 13 ص: 320

[6] شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي، **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، دار الكاتب العربي – بيروت، ص: 2. وانظر : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، **سير أعلام النبلاء**، الطبعة : الثالثة ، 1405 هـ / 1985 م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص:289/22. وانظر : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، **معجم البلدان**، الطبعة: الثانية، 1995 م ، دار صادر، بيروت، ج:2 ص: 235. وانظر أيضا : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ، ذيل طبقات الحنابلة، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2005 م، مكتبة العبيكان – الرياض، ج:3 ص: 74

[7] ياقوت الحموي، **معجم البلدان** ، طبع دار صادر للطبعة والنشر سنة 1375 ه / 1956 م ج: 2 ص: 235 - 236

[8] هو الشيخ أحمد بن عبدالدايم بن نعمة المقدسي، الكاتب، المحدث، الخطيب، زين الدين أبو العباس، ولد سنة 575هـ، وتوفي سنة 668هـ. انظر: برهان الدين ابن مفلح، **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، الطبعة الأولى، 1410هـ ، مكتبة الرشد، الرياض، ج: 1 ص: 130.

[9] انظر: العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، مطبوع ضمن **الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون**، لمحمد عزيز شمس، علي العمران، الطبعة الأولى، 420هـ، دار عالم الفوائد. ص: 256. ابن عبد الهادي ، **مختصر طبقات علماء الحديث** ، الطبعة الثانية، 1417هـ، نشر مؤسسة الرسالة، ص: 188. التبيان لبديعة الزمان لمحمد بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي (426)،

[10] شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي، **العقود الدرية ...**، ص: 4. وانظر: ابن عبد الهادي ، **مختصر طبقات علماء الحديث** ، الطبعة الثانية، 1417هـ، نشر مؤسسة الرسالة، ص: 40. وينظر: ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ، تحقيق أحمد رفعت، الطبعة الأولى، 1389هـ ، بيروت، دار المعرفة،.ج: 2 ص: 406.

[11] محمد بن أحمد أبو زهرة (1898م - 1974م). **ابن تيمية حياته وعصره - آراؤه وفقهه**. القاهرة: دار الفكر العربي. ص: 183 -185. وانظر أيضا : سعود بن صالح العطيشان (1999). **منهج ابن تيمية في الفقه**. الرياض: مكتبة العبيكان. ص: 65-66-67. ينظر : محمد يوسف موسى. **ابن تيمية**. دار العصر الحديث. صفحة 122 إلى 126.

[12] محمد بن أحمد أبو زهرة ، **ابن تيمية حياته وعصره** ... . ص: 185 . ينظر : سعود بن صالح العطيشان **منهج ابن تيمية في الفقه**. .... ص: 65-66-67.

[13]سعود بن صالح العطيشان. **منهج ابن تيمية في الفقه**. ... ص: 70. وينظر : محمد يوسف موسى**. ابن تيمية**. دار العصر الحديث. صفحة 133.

[14] سعود بن صالح العطيشان (1999). **منهج ابن تيمية في الفقه**. ... ص:67 - 68

[15] ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكرياء، (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عام النشر: 1399هـ - 1979م. دار الفكر، بيروت. ج:6 ص:108

[16] الراغب الأصفهانى ، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولى - 1412 هـ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ص: 879.

[17] يوسف القرضاوي، **كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها** ، الطبعة الثالثة 2011 م ، دار الشروق – مصر ص: 14. يوسف القرضاوي، **الخصائص العامة للإسلام**، لطبعة الثانية 1404 ه – 1983 م ، مؤسسة الرسالة بيروت، ص: 27.

[18] Anna Belen Soage, ***Shaykh Yusuf Al-Qaradhawi: Potrait Of A Leading Islamic Cleric***, in Journal Middle East Review of International Affairs (MERIA), Vo. 12, No. 1 (March 2008), p. 58

[19] ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط2، 1416هـ/1995م، ج3، ص381،

[20] المرجع السابق، ج3، ص359.

[21] علي محمد الصلابي، **الوسطية في القرآن الكريم**، الطبعة الأولى 1422 ه – 2001 م، مكتبة الصحابة ، الإمارات – الشارقة ، ص:

[22] Khaled Abou El-Fadl, ***Selamatkan Islam dari Muslim Puritan***, Penerjemah: Helmi Mustofa,(Jakarta: Serambi, 2006), cet. 1, p. 27

[23] Muhammad Rizieq, ***Hancurkan Liberalisme Tegakkan Syariat Islam***, Jakarta Selatan: Suara Islam, 2011, Cet. I p 46

[24] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الطبعة: 1984 هـ، الدار التونسية للنشر – تونس، ج: 3 ص: 189.

[25] انظر : أ.س. ربوبورت (Angelo Solomon Rappoport)، مبادئ الفلسفة ، (39)؛ ترجمة أحمد أمين. ص 25 :

[26] ابن تيمية ، مجموع الفتاوى... ج : 7 ص: 116

[27] ابن تيمية ، مجموع الفتاوى... ج: 7 ص: 115.

[28] سأقتصر على ركني الإيمان بالله ورسله، لأنهما إذا تحققا على الوجه الصحيح، فتحقق غيرهما من لوازم ذلك.

[29] انظر: محمد با كريم محمد با عبد الله، **وسطية أهل السنة بين الفرق**، الطبعة: الأولى 1415هـ-1994م الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع ، ص: 257.

[30] محمد با كريم محمد با عبد الله، **وسطية أهل السنة ...** ص : 286 - 288ا.

[31] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير المشهور بابن كثير، **تفسير القرآن الكريم** ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى - 1419 هـ ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ج: 2 ص: 396.

[32] تفصيل ذلك في **كتاب العهد والميثاق في القرآن** لشيخ ناصر بن سليمان العمر حيث تجد فصلا خاصًّا بذلك.

[33] تفصيل ذلك وأدلته في محمد با كريم محمد با عبد الله، **وسطية أهل السنة ...** ص: 289.

[34] ابن جريري الطبري ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ج: 6 ص: 284 محمد با كريم محمد با عبد الله، **وسطية أهل السنة ...** ص : 266.

[35] تفصيل ذلك في ظلال القرآن تفسير سورة الصف، وكتاب العهد والميثاق في القرآن لشيخ ناصر بن سليمان العمر في فصل نقض بني إسرائيل للعهد.

[36] محمد با كريم محمد با عبد الله، **وسطية أهل السنة ...** ص : 301.

[37] ابن جريري الطبري ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ... ، تحفظ الطبري - رحمه الله - في مكانه، لأنهم في الحقيقة لم يؤمنوا بهم جميعًا.

[38] نفس المرجع ج: 9 ص: 351.

[39] محمد با كريم محمد با عبد الله، **وسطية أهل السنة ...** ص : 301.

[40] أخرجه البخاري ، صحيح البخاري ج: 4 ص: 142. واحمد ابن حنبل، مسند إمام احمد ج: 1 ص: 23، 24، 55.

[41] قد تكون هناك مواقف لبعض اليهود تتشابه مع موقف النصارى، كقول بعضهم "عزيز ابن الله" وكذلك قد تكون هناك مواقف لبعض النصارى تشابه موقف اليهود، كخذلان بعضهم لعيسى وعدم نصرته، والعبرة بالموقف لا بالأشخاص سواء أكانوا من اليهود أم النصارى أم المشركين أم غيرهم.

[42] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ج: 9 ص: 314.

[43] ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم** ... ج: 1 ص: 185 (185/1).

[44] نفس المرجع ج: 2 ص: 434 .

[45] نفس المرجع ج: 2 ص: 379 .

المراجع

أ.س. ربوبورت (Angelo Solomon Rappoport)، مبادئ الفلسفة ، (39)؛ ترجمة أحمد أمين.

ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق : محمود الأرناؤوط، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، دار ابن كثير، دمشق – بيروت

ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ، تحقيق أحمد رفعت، الطبعة الأولى، 1389هـ ، بيروت، دار المعرفة

الطبري ، ابن جريري ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

ابن عبد الهادي ، **مختصر طبقات علماء الحديث** ، الطبعة الثانية، 1417هـ، نشر مؤسسة الرسالة

ابن مفلح، برهان الدين ، **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، الطبعة الأولى، 1410هـ ، مكتبة الرشد، الرياض

أبو الحسين أحمد بن زكرياء، ابن فارس ، (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عام النشر: 1399هـ - 1979م. دار الفكر، بيروت

أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، ابن كثير المشهور بابن كثير، **تفسير القرآن الكريم** ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى - 1419 هـ ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت

أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **البداية والنهاية**، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

أبو زهرة ، محمد بن أحمد (1898م - 1974م). **ابن تيمية حياته وعصره - آراؤه وفقهه**. القاهرة: دار الفكر العربي

أبو عبد الله ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله الرومي الحموي، **معجم البلدان**، الطبعة: الثانية، 1995 م ، دار صادر، بيروت

أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية ، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد, الطبعة: الثانية، 1419هـ / 1999م, دار العاصمة، السعودية

أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط2، 1416هـ/1995م

أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية **العقيدة الواسطية**: الطبعة: الثانية 1420هـ / 1999م الناشر: أضواء السلف – الرياض

أحمد بن عبد الهادي ، شمس الدين محمد بن يوسف الدمشقي الحنبلي، **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، دار الكاتب العربي – بيروت

أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد ، **سير أعلام النبلاء**، الطبعة : الثالثة ، 1405 هـ / 1985 م، مؤسسة الرسالة، بيروت

الأصفهانى ، الراغب ، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولى - 1412 هـ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت

با عبد الله ، محمد با كريم محمد ، **وسطية أهل السنة بين الفرق**، الطبعة: الأولى 1415هـ-1994م الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع

الجوزية ، ابن قيم (المتوفى: 751هـ) :**بدائع الفوائد**, دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان

الزحيلي، وهبة، **إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور**، مجلة الوعي الاسلامي، العدد رقم: 481، وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الكويت

زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ، **ذيل طبقات الحنابلة**، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2005 م، مكتبة العبيكان – الرياض

شمس الدين القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (المتوفى: 671هـ) **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة

الصلابي، علي محمد ، **الوسطية في القرآن الكريم**، الطبعة الأولى 1422 ه – 2001 م، مكتبة الصحابة ، الإمارات – الشارقة

العطيشان، سعود بن صالح (1999). **منهج ابن تيمية في الفقه**. الرياض: مكتبة العبيكان.

العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، مطبوع ضمن **الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون**، لمحمد عزيز شمس، علي العمران، الطبعة الأولى، 420هـ، دار عالم الفوائد

القرضاوي ، يوسف ، **الخصائص العامة للإسلام**، لطبعة الثانية 1404 ه – 1983 م ، مؤسسة الرسالة بيروت

القرضاوي ، يوسف ، **كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها** ، الطبعة الثالثة 2011 م ، دار الشروق – مصر

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ، ابن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الطبعة: 1984 هـ، الدار التونسية للنشر – تونس

ياقوت الحموي، **معجم البلدان** ، طبع دار صادر للطبعة والنشر سنة 1375 ه / 1956 م

Khaled Abou El-Fadl, ***Selamatkan Islam dari Muslim Puritan***, Penerjemah: Helmi Mustofa,(Jakarta: Serambi, 2006), cet. 1, p. 27

Muhammad Rizieq, ***Hancurkan Liberalisme Tegakkan Syariat Islam***, Jakarta Selatan: Suara Islam, 2011, Cet. I p 46

Anna Belen Soage, ***Shaykh Yusuf Al-Qaradhawi: Potrait Of A Leading Islamic Cleric***, in Journal Middle East Review of International Affairs (MERIA), Vo. 12, No. 1 (March 2008), p. 58